الباب الأول

الأطوار التى يمر بها الجنين

فى رحم الأم

قال تعالى: {هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ} [آل عمـــران: 6]

ويشتمل على:

1- أصل خلق الإنسان

2- كتابة الرزق

3- كتابة الأجل

4- بيان دية الجنين

5- قدر الغرة

6- على من تجب الدية

7- لمن تجب الدية

أصل خلق الإنسان

إن الله - سبحانه وتعالى - قد خلق الإنسان لأهداف سامية، وإن الله - تبارك وتعالى - قد كرم الإنسان وأعلى قدره وشأنه، وميزه كذلك بعقله يدرك به الأشياء من حوله، ويختار به طريق سعادته، وشقاوته، فالإنسان لم يخلق فى هذه الدنيا عبثا، ولم يخلق فى هذه الدنيا سدى، يأكل ويشرب وينام ويعيش ويموت فقط وهكذا تنتهى به الحياة دون جدوى فليس الأمر كذلك، ولكن الله - سبحانه وتعالى - قد خلق هذا الإنسان من أجل طاعته وعبادته.

قال تعالى:{وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ} (1).

فالإنسان إذا نظر إلى أصل خلقه ورجع إلى كتاب الله وقرأ قول الله تبارك وتعالى:{إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ العَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ} (2).

فالإنسان وهو ما زال فى رحم الأم ولم يخرج إلى هذه الحياة الصاخبة بكل ما فيها وبكل ما عليها، فإن الله تبارك وتعالى قد صوره فى الأرحام كيف يشاء:{هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ} (3).

وهذا هو رسول الله ﷺ : يصور لنا هذا الأمر تصويرا بليغا فى حديثه النبوى الشريف: عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن مسعود - رضى الله تعالى عنه قال: حدثنا رسول الله، ﷺ : وهو الصادق المصدوق قال: «إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يُرسَل إليه المَلَك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات، يكتب رزقه، وأجله،

(1) سورة الذاريات آية 56 إلى آية 58.
(2) سورة ص آية 71 إلى آية 76.
(3) سورة آل عمران آية 6.

وعمله، وشقى، أو سعيد، فوالله الذى لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» [1].

والله تبارك وتعالى يقول:{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ} "[2].

فى هذه الآية الكريمة يقول الله تبارك وتعالى مخبراً عن ابتداء خلق الإنسان من سلالة من طين وهو آدم - عليه السلام - خلقه الله تعالى من صلصال من حمأٍ مسنون، وقال ابن جرير: إنما سمى آدم طيناً ؛ لأنه مخلوق منه.

وقال قتادة: استل آدم من الطين، وهذا أظهر فى المعنى، وأقرب إلى السياق فإن آدم عليه السلام خلق من طين لازب، وهو الصلصال من الحمأ المسنون، وذلك مخلوق من التراب.

كما قال الله تعالى:{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ}[3].

وقال النبى ﷺ : «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب وبين ذلك» [4] [5].

وروى الضحاك عن ابن عباس - رضى الله عنهما:

---

(1) متفق عليه رواه البخارى 3208 ورواه مسلم 11/2643.
(2) سورة المؤمنون آية 12 إلى آية 14.
(3) سورة الروم آية 2.
(4) أخرجه أحمد، وأبو داوود، والترمذى: وقال: حسن صحيح.
(5) تفسير ابن كثير للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقى.

أن آدم عليه السلام خلقه المولى من طين، فأقام أربعين سنة. ثم صار حمأ مسنوناً فأقام أربعين سنة، ثم صار صلصالا. أى : طينا يابسا يسمع له صلصلة أى : صوت إذا نُقر فأقام أربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة، ثم نفخ فيه الروح [1].

وقال الصوفية:

خصوصية الأربعين لموافقة تخمير طين آدم عليه السلام وميقات موسى عليه السلام لاختصاصهما بالكمال لتركيبهما من عشرة وأربع ولكل خاصيته في الكمال.

أما الأول: - فإنها غاية الآحاد من غير تكرار.

الثـــانى: - فلأنه استقر كل مستقيم البنيان على أربعة أركان كالبضائع والفصول الأربعة والحيوان، وحينئذ فيوافق الله بين مدة خلق آدم - عليه السلام - وخلق الجنين.

وذلك يجعل الأيام التى فى خلق الجنين فى مقابلة السنين التى فى خلق آدم فلكل سنة يوم وموافقة الأطوار:

فالنطفة فى مقابلة الطين.. والعلقة فى مقابلة الحمأ المسنون.. والمضغة فى مقابلة الصلصال.. فتبارك الله أحسن الخالقين.

الثانية قال مجاهد: إذا حاضت المرأة فى حملها كان ذلك نقصانا فى ولدها فإن زادت على التسعة كان تماما لما نقص منه [2].

وهنا يقول الله تبارك وتعالى:**{فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ * يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ * فَمَا لَهُ**

(1) شرح الشبراخينى على الأربعين حديث النووية ص : 95 طبعة دار الفكر أ / إبراهيم عطية. الشبراخيتى.

(2) شرح الشبراخينى على الأربعين حديث النووية ص 95 طبعة دار الفكر أ / إبراهيم عطية. الشبرخيتى.

مِن قُوَّةٍ وَلاَ نَاصِرٍ} [1].

فالإنسان الذى يمشى على الأرض مختالا فى مشيته متكبرا على خلق الله، مصرا على معصيته وعصيانه لله سبحانه وتعالى، ويعتقد أنه لن يموت ولن يرحل إلى المولى جل فى علاه فلينظر إلى أصل خلقه ولينظر إلى نفسه.

فإن الله - سبحانه وتعالى - قد خلقه من هذا الماء ومن هذه النطفة التى هيأ الله تبارك وتعالى لها رحم الأم، فيدخل فى رحم الأم إذا قدر الله تبارك وتعالى أن يكون جنينا فيستقر فيه أربعين يوما ثم بعد تمامها يصير علقة أى: دما غليظا، وسمي علقة وذلك لعلوقه أى : لارتباطه ببعضه بعضا، أو لرطوبته ؛ لأنه يعلق بما يمر عليه، فإذا جف لم يكن علقة، فيصير علقة أربعين يوما.

ثم يكون مضغة، والمضغة هى قطعة لحم صغير قدر ما يمضغ ؛ فلذلك سميت مضغة فيصير مضغة أربعين يوما وهى الأربعون الثالثة.

ولقد ذكر القرآن الكريم الأطوار الثلاثة التى يمر بها الإنسان، فذكر النطفة.. وذكر العلقة.. والمضغة.. وذكر فى موضع آخر زيادة عليها.. حيث قال جل شأنه:{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ} [2].

وكان ابن عباس يقول: خلق الله ابن آدم من سبع ثم يتلو هذه الآية ثم إذا تمت وصار ابن مائة وعشرين يوما يرسل الله الملك، والمراد ملك مخصوص وهو الملك الموكل بالرحم.

قال ابن القيم: الملك وحده يرسل إليه، ولم يقل يرسل إليه الملك بالروح فيدخلها فى بدنه؛ لأن الله تبارك وتعالى أرسل الروح التى كانت موجودة قبل ذلك بالزمن الطويل مع الملك.

---

(1) سورة الطارق آية 5 إلى آية 1.

(2) سورة المؤمنون آية 12 إلى آية 14.

فإن قلت: إذا كان المراد بالملك من جعل الله إليه أمر تلك الرحم فكيف يرسل أو يبعث؟

فالجواب: كما قال القاضي عياض: إن المراد أنه يؤمر بذلك واختلف فى أول ما يتشكل من الجنين.

أول ما يتشكل من الجنين:

فقيل: قلبه؛ لأنه الأساس وقيل: الدماغ؛ لأنه مجمع الحواس، وجمع بينهما بأن أول ما يتشكل منه من الباطن القلب ومن الظاهر الدماغ وقيل أول ما يتشكل منه السرة وقيل الكبد؛ لأن فيه النمو المطلوب أولا ورجحه بعضهم.

وفى إيجاده على هذا الترتيب العجيب وانتقاله من طور إلى طور حتى يصير فى هذه الصورة التى قال عنها الله سبحانه وتعالى:{وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} [1].

أيها العبد: انظر الى قدرة مولاك كيف أنشأك وسواك، وفى التوراة مكتوب: يا بن آدم جعلنا لك قرارا فى بطن أمك، وغشيت وجهك بغشاء ؛ لئلا تفزع من الرحم، وجعلت وجهك إلى ظهر أمك ؛ لئلا يؤذيك رائحة الطعام، وجعلنا لك متكئا عن يمينك، ومتكئا عن شمالك، فأما عن يمينك فالكبد وأما الذى عن شمالك فالطحال، وعلمتك القيام والقعود فى بطن أمك فهل يقدر على ذلك أحد غيرى؟ فلما أن تمت مدة حملك أوحيت إلى الملك الموكل بالأرحام أن يخرجك على ريشة من جناحه ؛ لأنك لا سن يقطع، ولا يد تبطش، ولا قدم تسعى بها، وأنبعت إليك عرقين رقيقين فى صدر أمك يجريان لبنا خالصا حارا فى الشتاء باردا فى الصيف، وألقيت محبتك فى قلب أمك وأبيك، فلا يشبعان حتى تشبع ولا يرقدان حتى ترقد فلما قوى ظهرك واشتد إزرك بارزتنى بالمعاصى واعتمدت على المخلوقين ولم تعتمد علىَّ، وتستتر فمن يراك، وبارزتنى بالمعاصى فى خلواتك ولم تستح منى ومع هذا إن دعوتنى أجبتك وإن سألتنى

(1) سورة التغابن - آية 3.

أعطيتك وإن تبت قبلتك [1].

والمتأمل فى هذه المعجزة الإلهية التى تدل على حكمة الله - سبحانه وتعالى - وقدرته جل شأنه فى خلقه يجد أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان بعد انتقاله من طور إلى طور مع أن الله قادرعلى إيجاده فى لحظة وفى طرفة عين كاملا كسائر المخلوقات.

أمـــور: إن الله سبحانه وتعالى لو خلقه دفعة واحدة لشق على الأم لكونها لم تكن معتادة لذلك وربما لم تطقه فجعله أولا نطفة لتعتاد به ثم علقة وهكذا إلى الولادة؛ ولذا قال الخطابى..

1- الحكمة فى تأخير كل أربعين يوما أن يعتاد الرحم؛ إذ لو خلق دفعة واحدة لشق على الأم وربما لاتقدر عليه.

2- إظهار قدرته تعالى وتعليمه لعباده للتأنى فى أمورهم.

3- إعلام الإنسان بأن حصول الكمال المعنوى لـه تدريجى نظير حصول الكمال الظاهر لـه.

فالجنين فى رحم الأم يتقلب فى مائة وعشرين يوما فى ثلاثة أطوار فى كل أربعين يوما منها يكون فى طور، فيكون فى الأربعين الأولى نطفة، والأربعين الثانية علقة، والأربعين الثالثة مضغة، ثم بعد مائة وعشرين يوما ينفخ فيه الملك الروح ويكتب لـه الأربع كلمات [2].

وهنا يقول الله تبارك وتعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّـا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ} إلخ الآية"[3].

ثم بعد هذه الأطوار التى يمر بها فى رحم أمه ينفخ فيه الروح التى يحيا بها الإنسان وحقيقة النفخ إخراج ريح من الناقح حتى يتصل بالمنقوح... حتى

(1) شرح الشبراخيتى على الأربعين حديث النووية ص 39 / 4.، طبعة دار الفكر الشيخ / إبراهيم عطية. الشبراخيتى.

(2) جامع العلوم والحكم فى شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم للإمام ابن رجب الحنبلى - طبعة مكتبة الإيمان.

(3) سورة الحج - (آية 5).

يتحرك فيما بين ذلك إلى عشرة أيام وتحس أمه حينئذ بحركته.

وظاهر الحديث الذى قد ورد ذكره قبل ذلك أن الملك ينفخ الروح فى المضغة وليس مرادا، بل إنما ينفخ فيها بعد أن تتشكل بتشكل ابن آدم وتتصور بصورته ولكن ليس ظاهرة كذلك، وإنما ظاهره أن الإنسان بعد الأربعين الثالثة المنقضى اسم المضغة بانقضائها وتلك البعدية لم تحد.

فيحتمل أنه بعد الأربعين الثالثة أنه فى تصور فى زمن يسير، وبعد تصويره يرسل الملك فينفخ فيه الروح.

وقد روى عن عائشة - رضى الله عنها: أن النبى - ﷺ قال: «إن الله إذا أراد أن يخلق الخلق بعث ملكا فدخل الرحم فيقول: أى رب ماذا؟ فيقول: غلام أو جارية أو ما شابه أن يخلق فى الرحم، فيقول: أى رب أشقى أم سعيد؟ ويقول: أى رب ما أجله؟ فيقول: كذا وكذا... فيقول: ما خلقه؟ ما خلائقه؟ فيقول: كذا وكذا.. فما من شىء إلا وهو يخلق معه فى الرحم» (1).

إن الله تبارك وتعالى قد خلق الإنسان وقدر له وهو ما زال فى عالم الأرواح فى بطن أمه رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد، فإن الملك يؤمر بكتابة هذه الأربعة وهو ما زال فى بطن أمه ولم يخرج إلى الحياة بعد وقد اختلف فى الكتابة:

فقيل: إنه يكتب على جبهته أو يكتب على بطن كفه. أو يكتب على ورقة تعلق بعنقه.

قال مجاهد والقسطلانى: والظاهر أن الكتابة هى الكتابة المعهودة فى صحيفة فتطوى الصحيفة فلايزاد فيها ولا ينقص، ووقع فى حديث أبى ذر: «فيقضى الله ما هو قاض فيكتب ما هو لاق بين عينيه».

* * *

كتابة الرزق

(1) أخرجه أبو داود فى كتاب القدر والبزار كما فى مجمع الزوائد 7 / 193 - وإسناده صحيح.

إن الله سبحانه وتعالى قد قدر الرزق من فوق سبع سموات حتى يطمئن الإنسان الذى يسعى خلف الدنيا بزخرفها ومتاعها، ويشغل عقله وتفكيره بجمع المال من حل ومن حرام ونسى ما خلق من أجله وهو طاعة الله الواحد القهار.

وهو عند أهل السنة والجماعة:

ما ساقه الله تعالى: إلى الحيوان فانتفع به بالفعل سواء كان مأكولا أو غيره فيتناول العلم ونحوه؛ لأن الرزق نوع ظاهر للأبدان كالقوت، وباطن للقلوب والنفوس، كالمعارف والعلوم وخرج به ما لم ينتفع به [1].

وعند المعتزلة:

أنه المملوك مطلقا سواء انتفع به، أم لا، وهو فاسد الطرد لدخول ملك الله تعالى فيه ولايسمى رزقا وفاقا وإلا لكان مرزوقاً وفاسد العكس؛ لخروج رزقه الدواب، بل والعبيد والإماء عند بعض الأئمة الذين يرون أن الرقيق لا يملك.

وقد قال الله تبارك وتعالى:{وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ} [2].

وسبب نزول هذه الآية الكريمة:

أنه لما آذى المشركون المؤمنين فى مكة قال لهم النبى ﷺ : «هاجروا إلى المدينة» فقالوا: كيف نخرج إلى المدينة وليس لنا دار ولا مال فمن يطعمنا ويسقينا؟ فأنزل الله هذه الآية الكريمة.

* * *

كتابة الأجل

(1) شرح الشبراخيتى على الأربعين حديث النووية ص 99، طبعة دار الفكر ، الشيخ / إبراهيم عطية الشبراخيتى.

(2) سورة العنكبوت : آية 6.

وكذلك قدر الله تعالى للإنسان من أجله وأمر الملك بكتابة أجله طويلا كان، أو قصيرا وله إطلاقان : أحدهما : مدة الحياة، والثانى : منتهاها، وهو الوقت الذى كتب الله فيه الأزل انتهاء الحياة.

وقد قال الله تبارك وتعالى:{فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ}(1).

فإن الله سبحانه وتعالى قد قدر أجل الإنسان والمدة التى سيعيشها فى دنياه فإن الإنسان لن يموت وله فى هذه الدنيا شربة ماء، أو لقمة يأكلها، أو خطوة يمشيها.

وقال الله تبارك وتعالى:{وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ} (2).

وروى عن أبى هريرة ﷺ قال: خرج علينا النبى ﷺ يطوف فتعرض نواحى المدينة، فإذا بقبر يحفر فأقبل حتى وقف عليه فقال: «لمن هذا؟»

قيل: لرجل من الحبشة.

فقال: «لاإله إلا الله سيق من أرضه وسمائه حتى دفن فى الأرض التى خلق منها»(3).

نكتة:

يقال : إن ملك الموت - عليه السلام - دخل يوما على سليمان بن داود - عليهما السلام فجعل يطيل نظره ويحد بصره إلى رجل من ندمائه ثم خرج فقال ذلك النديم : يا نبى الله من كان ذلك الرجل؟

قال : إنه ملك الموت. قال: رأيته يطيل النظر إلىَّ، وأخاف أنه يريد قبض

(1) سورة النحل - آية 61.

(2) سورة لقمان - آية 34.

(3) رواه الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول، وورد فى كتاب المجالس السنية فى الكلام على الأربعين النووية للإمام. العلامة أحمد ابن الشيخ حجازى الفشنى - طبعة دار الفكر.

روحى فخلصنى من يده.. فقال: وكيف أخلصك؟

فقال: تأمر الريح أن تحملنى إلى بلاد الهند فلعله يضل عنى ولايجدنى فأمر سليمان عليه السلام الريح أن تحمله فى الساعة إلى أقصى بلاد الهند فحملته فى الوقت والحال، فقبض روحه فى الوقت والحال وعاد ملك الموت.. ودخل على سليمان - عليه السلام فقال له سليمان : لأى سبب كنت تطيل النظر إلى ذلك الرجل؟

قال: كنت أتعجب من أمره؛ لأننى أمرت بقبض روحه بأرض الهند وهو بعيد عنها إلى أن اتفق وحملته الريح إلى هناك كما قدر الله تعالى فقبضت روحه هناك(1).

إن الناس فى هذه الأيام تجزع من الرزق وعملية كسب الأرزاق فنجد من يجتهد فى الدنيا لكسب المال من حلال ومن حرام ويترك بعد ذلك المال لورثته يتمتعون به فى الدنيا ويتحمل هو الذنب والعقاب أمام الله.. وأصبح الناس كذلك - اللهم إلا القليل ممن عمرت قلوبهم بذكر الله واطمأنت بها - يجزعون من ذكر الأجل ولقاء الله تعالى جل فى علاه مع أن ذلك مقدر ومعلوم عند المولى القدير فى علاه.

فإن الرزق، والأجل، والعمل، والشقاء، والسعادة، بأمر الله.

والله تبارك وتعالى يقول:{فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ}(2).

فظاهر الآية:

أن الأجل لايزيد ولا ينقص وقوله تعالى:{وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلاَ يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ} (3).

---

(1) ورد فى كتاب المجالس السنية فى الكلام على الأربعين النووية للإمام العلامة/ أحمد ابن الشيخ حجازى الفشنى-. طبعة دار الفكر.

(2) سورة النحل - الآية : 61.

(3) سورة فاطر - آية : 11.

فالضمير فى قولـه:{مِنْ عُمُرِهِ} ليس عائدا على قولـه:{مِن مُّعَمَّرٍ} الأول بل هو على طريقة عندى درهم ونصفه أى نصف درهم.

وأما قول الرسول ﷺ : «من أحب أن يبسط لـه فى رزقه، وينسأ لـه فى عمره أى : يزداد لـه فليصل رحمه».

ففيه أجوبة أصحها:

1 - قال النووى هذه الزيادة مؤولة بالبركة فى عمره والتوفيق فى الطاعات وصيانة أوقاته من الضياع.

2 - ومَثّل أن الزيادة بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة فى اللوح المحفوظ؛ لأن الحق جواز وقوع المحو والإثبات فى اللوح المحفوظ كصحف الملائكة.

3 - وقيل أن المراد بالزيادة ذكره الجميل فكأنه لم يمت [1].

وأما عمله فإن الله قد قدره فى الأزل سواء كان صالحا، أو قاصرا.

فيا أيها العبد المؤمن.. الموحد بالله.. يا من تقول لا إلـه إلا الله.. لا تجزع؛ لأن الأمر بيد الله - جل فى علاه - فإن الرزق مكتوب والأجل مكتوب، والعمل مكتوب، والشقاء والسعادة فكل معلوم عند الله ومقدر.

وصدق القائل:

كـــن عـــن همومـــك معرضـــا ::: وكِـــلِ الأمـــور إلى القضـــا
وانعـــم بطـــول ســـلامة ::: تســـليك عمـــا قـــد مضـــى
فلربمـــا اتســـع المضـــيق ::: ولربمـــا ضـــاق الفضـــا
ولـــرب أمـــر مخجـــل ::: لـــك فى عواقبـــه الرضـــا
الله يفعـــل مـــا يشـــاء ::: فـــلا تكـــن متعرضـــا

شقى أو سعيد

عن على بن أبى طالب رضي الله عنه : عن النبى ﷺ أنـه قال: «ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة، أو النار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة» فقال رجل

(1) شرح الشبراخيتى ص 99.

يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ فقال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له.. أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ:{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى}[1]، [2]».

وفى الصحيحين : عن عمران بن حصين قال: قال رجل: يا رسول الله، أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: «نعم»، قال: فلم يعمل العاملون؟ قال: «كل يعمل لما خلق له، أو لما يسر له» [3].

وفى الحديث الذى ورد ذكره فى أول الباب: «إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه» إلخ الحديث.

كان ظاهر السياق أن يقول سعادته وشقائه فعدل عنه حكاية الصورة ما يكتب؛ لأنه يكتب شقى أو سعيد، والمراد أنه يكتب لكل واحد إما الشقاوة وإما السعادة لا يكتبان لواحد معا، فلذلك اقتصر على أربع.

حكاية:

ومثل لما حضرت عبد الرحمن بن عوف الوفاة غشى عليه ثم أفاق فقال:

أتانى الساعة ملكان، فقالا لى قم نحاكمك بين يدى العزيز الحكيم ففزعت منهما، فإذا بملك ثالث قد نزل من السماء، فقال خليا عنه فإنه قد كتب فى بطن أمه سعيدا[4].

رأى الأشاعرة والماتريدية فى الشقاوة والسعادة:

قال الأشاعرة:

هما أزليتان مقدرتان فى الأزل لا يتغيران ولا يتبدلان فالسعادة الموت على الإيمان، لتعلق العلم الأزلى بها كذلك.

---

(1) سورة الليل - آية : 5، 6.

(2) متفق عليه - رواه البخارى - 1362، ورواه مسلم فى صحيحه 2647 / 6.

(3) متفق عليه - رواه البخارى 6596، ورواه مسلم فى صحيحه 2649 / 9.

(4) شرح الشبراخيتى ص1 على الأربعين حديث النووية، طبعة دار الفكر – الشيخ إبراهيم عطية الشبراخيتي ص100.

والشقاوة الموت على الكفر، العلم الأزلى بها كذلك.

والسعيد من علم الله فى الأزل موته على الإيمان وإن تقدم منه الكفر، والشقى من علم الله فى الأزل موته على الكفر وإن تقدم منه إيمان.

وعلى هذا فلا يتصور فى السعيد أن يشقى، ولا فى الشقى أن يسعد [1].

رأى الماتريدية فى الشقاوة والسعادة: -

قال الماتريدية:

السعيد هو المسلم والشقى هو الكافر، والسعادة الإسلام والشقاوة الكفر، وعليه فيتصور أن الشقى قد يسعد، وأن السعيد قد يشقى بعدما يرتد عن الإيمان، وأن السعادة والشقاوة غير أزليتان بل يتغيران ويتبدلان.

وخرج الإمام أحمد، والنسائى، والترمذى من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما: قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفى يده كتابان فقال: «**أتدرون ما هذان الكتابان؟**» فقلنا: لا يا رسول الله.. ألا تخبرنا!

فقال: للذى فى يده اليمنى: «**هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة، وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم فلا يزداد منه ولا ينقص منه أبدا**». ثم قال للذى فى شماله: «**هذا كتاب أهل النار فيه أسماؤهم وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم فلا يزداد فيه ولا ينقص منه أبدا**». فقال أصحابه: ففيم العمل يارسول الله إن كان أمرا قد فرغ منه؟ فقال: «**سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة. وإن عمل أى عمل. وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أى عمل**».

ثم قال رسول الله ﷺ بيديه فنبذهما، ثم قال: «**فرغ ربكم من العباد: {فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ}**» [2].

---

(1) المصدر السابق ص 100.

(2) اسناده صحيح رواه الإمام أحمد 2 / 167، والترمذى / 2141، والنسائى فى الكبرى ، كما قال فى التحفة 6 /343 وقد روى فى هذا الحديث عن النبى ﷺ من وجوه متعددة. وخرجه الطبرانى، وزاد فيه:

فهناك كثير من الناس فى هذه الأيام، بل فى كل الأزمنة والعصور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، يظن ويعتقد أن السعادة فى جمع المال وفى ملذات الدنيا ومتاعها. وفى شراء العقارات وفى ركوب السيارات الفارهة وتناول ألذ الأطعمة والمشروبات وأن ينام على الحرير والديباج.

ويظن أن الشقاوة هى الحرمان من كل هذه الملذات ومتاع الحياة الدنيا. ونسى بل تناسى أن السعادة ليست فى الملذات وفى جمع المال وأن الشقاوة هى ليست الحرمان من متاع الحياة الدنيا وزخرفها.

قال حاتم الأصم: –

من خلا قلبه من ذكر أربعة أخطاء مغتر فلا يأمن الشقاء:

1- **الأول**: خطر يوم الميثاق. حين قال : هؤلاء فى الجنة ولا أبالى، وهؤلاء فى النار ولا أبالى. فلا يعلم فى أى الفريقين كان.

2- **الثانى**: حين خلق فى ظلمات ثلاث فنادى الملك بالشقاوة والسعادة. ولا يدرى أمن الأشقياء هو، أم من السعداء.

3- **الثالث**: ذكر هول المطلع. فلا يدرى أيبشر برضا الله، أم بسخطه.

4- **الرابع**: يوم يصدر الناس أشتاتا فلا يدرى أى : الطريقين يسلك [1].

وقال سفيان لبعض الصالحين:

هل أبكاك قط علم الله فيك؟ فقال له ذلك الرجل: تركنى لا أفرح أبدا.

وكان سفيان يشتد قلقه من السوابق والخواتيم فكان يبكى ويقول : أخاف أن أكون فى أم الكتاب شقيا.

ويبكى ويقول: أخاف أن أسلب الإيمان عند الموت [1].

((صاحب الجنة مختوم له بعمل أهل الجنة وصاحب النار مختوم له بعمل أهل النار وإن عمل أى عمل وقد يسلك بأهل السعادة طريق الشقاوة.)) الحديث.

(1) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم – الإمام ابن رجب الحنبلي طبعة مكتبة دار الإيمان.

وفى هذا المعنى أحاديث كثيرة منها ما أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن عزوجل كقلب واحد يصرفه حيث يشاء» ثم قال رسول الله ﷺ : «اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك» (2).

وبعد أن استعرضنا هذه الأطوار، وهذه المراحل التى يمر بها الجنين فى داخل الرحم.. فننظر.. ونتأمل.. ونفكر فى هذا الإعجاز الربانى.

الذى لايستطيع مخلوق على وجه الأرض إلا أن يقر بوحدانية الله - سبحانه وتعالى - وقدرته وحده - فسبحانه وتعالى - على كل شىء قدير وأمره بين الكاف والنون فإذا قضى أمرا فإنما يقول له: كن، فيكون.

قال تعالى:{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (3).

فلانقول نحن إلا: لا إله إلا الله محمد رسول الله.. رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا.

وقد ذهب بعض الأطباء: إلى أن تصوير الجنين يكون يوم السابع لتصريحهم بأن المنى إذا نزل الرحم أزبد وأرغى لستة أيام، أو سبعة وفيها يتصور من غير استمداد من الرحم، ثم تستمد منه وتبتدأ خطوطه ونقطه بعد ثلاثة أيام من الاستمداد ثم فى الخامسة عشر ينفذ الدم إلى الجميع فيصير علقة، ثم تظهر الأعضاء ويمحى بعضها وتمد رطوبة النخاع بعد تسعة أيام من صيرورته علقة ينفصل الرأس عن المنكبين والأطراف عن الأصابع.

قالوا: وأقل مدة التصوير تصوير الذكر فيها ثلاثون يوما والزمان المعتدل فى تصوير الجنين خمسة وثلاثون يوما.. وقد يتصور فى خمسة وأربعين يوما.

---

(1) المصدر السابق ص66.

(2) رواه الإمام مسلم 2654/ 17.

(3) سورة يس الآيتان: 82، 83.

وقال بعض الأطباء:

إن الولد عند استكمال سبعة أشهر يتحرك للخروج، فإن تهيأ لـه الخروج خرج وعاش، وإن لم يتهيأ يستريح فى البطن عقب الحركة المتعبة المضعفة، فلا يتحرك فى الشهر الثامن للخروج؛ ولهذا يقل تحركه فى البطن أيضا، وإن اتفق تحركه فى الشهر الثامن للخروج فيضعف الولد غاية الضعف، وهو فى نفسه غاية الضعف ولا يعيش [1].

وقال المقرى فى قواعده:

الولد يتحرك لمثل ما يتحرك لـه، ويوضع لمثل ما يتحرك فيه، وهو يختلف فى السعادة تارة لشهر، فيتحرك لشهرين ويوضع لست وتارة لشهر وخمسة أيام فيتحرك لشهرين وثلث ويوضع لسبعة، وتارة لشهر ونصف فيتحرك لثلاثة ويوضع لتسعة؛ فلذلك لا يعيش ابن الثمانية ولا ينقص الحمل عن ستة ا.هـ.

وروى أن عبد الملك بن مروان ولد لستة أشهر[2].

تتمة يذكر فيها أحكام دية الجنين:

إذا كنا قد فرغنا من الحديث عن أطوار خلق الإنسان التى يمر بها فيجدر بنا أن نختم الحديث بذكر أحكام دية الجنين؛ لأن هذا الأمر من الأمور الهامة التى تمس حياة البشر عامة؛ لأنه من الملاحظ ومن المشاهد فى تلك الأيام أنك تجد من يعتدى على زوجته بالضرب وهى فى حملها فيسقط فيها الجنين، وهناك من يقتل الجنين فى بطن أمه؛ خوفا على حق فى الميراث أو ما شابه ذلك، والأمثلة فى هذه الحياة كثيرة فإننا كل يوم نقرأ عن ذلك ونسمع ونشاهد فكان لابد أن نتحدث عن دية الجنين؛ لأن كثيرا من الناس يغفل عن هذا الأمر تماما ومن الأمور الأشد غرابة فى هذه الأيام الإجهاض خوفاً من الفضيحة ومن العار بعد الخطأ والوقوع فى الرذيلة، وهذا الأمر قد انتشر كثيرًا فى هذه الأيام فيلجأ الجميع إلى الإجهاض وهم لا يعرفون خطورة هذا الأمر من الناحية

(1) شرح الشبراخيتى: ص 97.
(2)شرح الشبراخيتى: ص 97.

الصحية ومن الناحية الشرعية.

فالله سبحانه وتعالى يقول:{وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً} (1).

فالإجهاض وهو إسقاط ما فى بطن الحامل بعد التخلق ونفخ الروح حرام بلا خلاف جاء فى تعليق الشيخ.. ابن باديس.. رحمه الله تعالى.. على قوله تعالى:{وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ} [الإسراء: 31].

ما نصه: إما بالقتل بعد الولادة وإما بإفساد الحمل بعد التخليق وهو حرام باتفاق (2).

وقد صرح الحنابلة بأنه إذا صار الولد علقة لم يجز للمرأة إسقاطه؛ لأنه ولد انعقد (3).

* * *

(1) سورة الإسراء آية 31.

(2) مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير للشيخ ابن باديس.

(3) إيضاح المعانى الخفية فى الأربعين النووية - محمد تاتاى طبعة : دار الوفاء.

بيان دية الجنين

إذا مات الجنين بسبب الجناية على أمه عمداً، أو خطأ ولم تمت أمه وجب فيه غرة سواء انفصل عن أمه وخرج ميتا.. أم مات فى بطنها وسواء أكان ذكرا أم أنثى.

قدر الغرة

والغرة خمسمائة درهم.. كما قال الشيعة والأحناف، أومائة شاة، وقيل: خمس من الإبل.

وعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قضى أن دية الجنين غرة: "عبد، أو وليدة "

أما إذا خرج الجنين حياً ثم مات ففيه الدية كاملة فإن كان ذكراً وجبت مائة بعير، وإن كان أنثى خمسون وتعرف الحياة بالعطاس، أو التنفس، أو البكاء، أوالصياح، أو الحركة ونحو ذلك.

واشترط الشافعى:

فى حالة إذا ما مات فى بطن أمه أن يعلم بأنه قد تخلق وجرى فيه الروح.. وفسره بما ظهر فيه صورة الآدمى.

وأما مالك:

فإنه لم يشترط هذا الشرط وقال:

" كل ما طرحته المرأة من مضغة، أو علقة مما يعلم أنه ولد ففيه الغرة ".

* * *

على من تجب الدية

قال مالك وأصحابه والحسن البصرى:

تجب فى مال الجانى.

وذهب الحنفية والشافعية والكوفيون لى أنها تجب على العاقلة؛ لأنها جناية

خطأ.

* * *

لمن تجب الدية

ذهب المالكية والشافعية وغيرهم أن دية الجنين تجب لورثته على مواريثهم الشرعية وحكمها حكم الدية فى كونها مورثة.

وقيل:

هى للأم؛ لأن الجنين كعضو من أعضائها فتكون ديته لها خالصة...

يقول الله - سبحانه وتعالى -:{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً} [1] فسبحان الله الذى لا إله غيره جل شأنه:

القائل سبحانه وتعالى:{الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ} [2].

عن النبى ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله: لا يعلم متى تجىء الساعة إلا الله، ولا يعلم ما فى غد إلا الله، ولا يعلم متى يجىء الغيث إلا الله، ولا يعلم ما فى الأرحام إلا الله، ولا تدرى نفس بأى أرض تموت إلا الله» [3].

فالله سبحانه وتعالى: المنفرد بعلم ما فى الرحم، وعلم وقت إقامته فيه، وما يزيد من بدنه، وما ينقص.

* * *

(1) سورة الفرقان آية 54.

(2) سورة الإنفطار الآيتان: 7 ، 8.

(3) رواه البخارى رقم 1. 39، ورقم 4697، فى باب " الله يعلم ما تحمل كل أنثى "، والإمام أحمد فى المسند 24/2.